﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠﴾

[المجادلة: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لّما شدَّدَ ﷺ في أمرِ النَّجوى، وكانَ لا يفعلُها إلّا أهلُ النِّفاقِ، وربَّما ظنَّ ظانٌّ أنَّهُ يَحدُثُ عنها ضررٌ لأهلِ الدّينِ بيَّنَ أنَّ ضررَها إنَّما يعودُ على أهلِها، وفي ذلكَ تسليةٌ للمؤمنينَ، وتأنيسٌ لنفوسِهم[1]. وفي الآية بيانُ الباعثِ للمنافقينَ على النَّجوى، وذكرُ المُزيِّنِ لهم ذلكَ[2]، وهو وجهُ مناسبةٍ.

لا تَحيقُ نَجْوى السّوءِ إلّا بأهلِها

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾: (ضرر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ النَّفْعِ[3]، ومِنْ ذلكَ: الضُّرُّ، وهو سوءُ الحالِ، إمّا في النَّفْسِ لقلَّةِ العِلمِ والفضلِ، وإمّا في البَدَنِ لعدمِ جارحةٍ أو نقصٍ، وإمّا في حالةٍ ظاهرةٍ مِنْ قلَّةِ مالٍ وجاهٍ[4]. والمرادُ هنا: أنَّهُ لا يقدرُ على إلحاقِ الضَّررِ بهم إلّا بإذنِ اللّهِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُسلّي اللّهُ تعالى عبادَهُ المؤمنينَ الَّذينَ يرونَ تناجيَ المنافقينَ، ويخافونَ الضَّررَ منهم، فيقولُ: إنَّما النَّجوى المخالفةُ للشَّرعِ مِنْ تزيينِ الشَّيطانِ؛ ليُدخِلَ الحزنَ على المؤمنينَ، وليسَ الشَّيطانُ أو التَّناجي بضارِّهم شيئًا مِنَ الضَّررِ إلّا بتقديرِ اللّهِ تعالى

الإيمانُ والتَّوكُّلُ على اللهِ سلاحُ المؤمنِ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 372 - 373، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 169، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 34.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 14.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضرر).

(4) الرّاغب، المفردات: (ضرر).

ومشيئتِهِ، وليُفوِّضِ المؤمنونَ جميعَ شؤونِهم إلى اللهِ تعالى، فهو حَسْبُهم وكافيهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

ذكرُ أثرٍ مِن آثارِ نَجْوَى المنافقينَ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ ابتدائيٌّ لإفادةِ غرضٍ اقتضَتْهُ مناسبةُ النَّهيِ عن النَّجوى، وهذا الغرضُ هو بيانُ أثرٍ يترتَّبُ على نجوى المنافقينَ.

تأكيدُ النَّهيِ عن النَّجوى ببيانِ علَّتِهِ

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ استئنافًا تعليليًّا فيهِ تأكيدٌ للنَّهيِ عن النَّجوى[2]، فيكونُ الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ.

بلاغةُ تأكيدِ قولِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

العنايةُ بما يُعينُ على تركِ التَّناجي المُحرَّم

أُكِّدَ قولُهُ ﷺ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بـ(إنَّ) المكفوفةِ عن العمل بـ(ما) الكافَّةِ مع بقائها على معنى التَّوكيد، وباسميَّةِ الجملةِ؛ للعنايةِ بتقريرِ مضمونِهِ وتأكيدِهِ؛ لأنَّهُ تقويةٌ للنَّهيِ عن التَّناجي بالإثمِ والعُدوانِ ومعصيةِ الرَّسولِ، وحثٌّ على تركِ التَّلبُّسِ بهِ.

بلاغةُ القصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾:

النَّجوى المُحرَّمةُ مِنَ الشَّيطانِ لا مِنْ غيرِهِ

القصرُ المستفادُ مِنْ ﴿إِنَّمَا﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ قصرُ موصوفٍ على صفةٍ؛ أي: قصرُ النَّجوى على كونِها مِنَ الشَّيطانِ، والمعنى: إنَّما النَّجوى بالإثمِ والعُدوانِ ومعصيةِ الرَّسولِ آتيةٌ مِنَ الشَّيطانِ لا مِنْ غيرِهِ؛ لأنَّ الأغراضَ الَّتي يتناجَون فيها مِنْ أكبرِ ما يوسوسُ الشَّيطانُ لأهلِ الضَّلالةِ بأنْ يفعلوهُ[3].

قُبْحُ الإقدامِ على السّوءِ مع العلمِ بهِ

وفي إيثارِ ﴿إِنَّمَا﴾ على غيرِها تنبيهٌ على أنَّ كونَ النَّجوى مِنَ الشَّيطانِ أمرٌ معلومٌ لهم، أو مِنْ شأنِهِ أنْ يكونَ معلومًا، لا يجهلونَهُ،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 295، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 44.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 34.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 220، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 34.

ولا يُنكِرونَهُ، وفي ذلكَ تقبيحٌ لشأنِهم؛ إذ يُقدِمونَ على ما يعلمونَ، أو ينبغي عليهم أن يعلموا أنَّ مصدرَهُ شرٌّ وظلمٌ وعُدوانٌ.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾:

نجوى الشَّرِّ والفسادِ تكونُ مِنَ الشَّيطانِ

تعريفُ ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ للعهدِ؛ إذ ليسَ المرادُ بها جنسَ النَّجوى الشّاملَ للتَّناجي بالخيرِ الَّذي يكونُ مِنَ اللهِ، بل المرادُ بها النَّجوى بالإثمِ والعُدوانِ ومعصيةِ الرَّسولِ، بدليلِ قولِهِ: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وبدليلِ السّياقِ السّابقِ[1]، وبذلكَ يصحُّ قصرُ النَّجوى على كونِها مِنَ الشَّيطانِ[2].

ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ بهذهِ النَّجوى المعهودةِ نجوَى قومٍ مِنَ المسلمينَ، كانوا يقصدونَ مناجاةَ النَّبيِّ ﷺ وليسَ لهم حاجةٌ ولا ضرورةٌ إلى ذلكَ، وإنَّما كانوا يريدونَ التَّبجُّحَ بذلكَ، وكانَ المسلمونَ يظنّونَ أنَّ تلكَ النَّجوى في أخبارِ سوءٍ[3].

معنى ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

الشَّيطانُ منبعُ الشَّرِّ والفسادِ

﴿مِنَ﴾ في قولِ الحقِّ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ابتدائيَّةٌ؛ أي: إنَّما النَّجوى بالإثمِ والعُدوانِ ومعصيةِ الرَّسولِ مُبتدَأةٌ مِنَ الشَّيطانِ[4]. والمعنى: أنَّهُ يَحملُهم على أنْ يُقدِموا عليها[5]، فهو المُزيِّنُ لها[6].

نكتةُ التَّعبيرِ بالشَّيطانِ معرفةً:

الشَّيطانُ محترقٌ مطرودٌ من رحمةِ اللهِ

عُبِّرَ بالشَّيطانِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ للتَّنبيهِ على احتراقِهِ إنْ كانَ مشتقًّا مِنْ (شاطَ) بمعنى

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 491، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 492، والطيبي، فتوح الغيب: 15/ 285.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 504.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 277.

(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 373.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 492.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 127.

(احترقَ)، وعلى طردِهِ من رحمةِ اللّهِ تعالى إنْ كانَ مشتقًّا مِنْ (شَطَنَ) بمعنى (بَعُدَ)[1]، وإذا كانَ مَنْ هذا وصفُهُ مصدرَ النَّجوى فكيفَ يجترئُ عليها العاقلُ؟!

الشَّرُّ والفسادُ سِمَةُ جميعِ الشَّياطينِ، وإبليسُ أصلُ الشَّياطينِ

وتعريفُ الشَّيطانِ؛ للجنسِ الشّاملِ لجميعِ الشَّياطينِ، فحبُّ الشَّرِّ والفسادِ قاسمٌ مشتركٌ بينَها. أو للعهدِ، والمرادُ بهِ إبليسُ، فهو أصلُ الشَّياطينِ وآمرُهم، فكلُّ ما ينشأُ مِنْ وسوسةِ الشَّياطينِ فهو راجعٌ إليهِ.

معنى اللّامِ في ﴿لِيَحۡزُنَ﴾:

غايةُ الشَّيطانِ حَزَنُ المؤمنينَ

اللّامُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لامُ التَّعليلِ[2]، والمعنى: أنَّ الشَّيطانَ يَحملُهم على أنْ يُقدِموا على تلكَ النَّجوى الَّتي هي سببٌ لحَزَنِ المؤمنينَ، وذلكَ لأنَّ المؤمنينَ إذا رأوهم مُتناجينَ قالوا: ما نراهم إلّا وقد بلغَهم عن أقربائِنا وإخوانِنا الَّذينَ خرجوا إلى الغَزَواتِ أنَّهم قُتلوا وهُزِموا، ويقعُ ذلكَ في قلوبِهم، ويَحزَنونَ لهُ[3]، أو إذا أجْرَوا اجتماعَهم على مكايدةِ المسلمينَ، وربَّما كانوا يُناجونَ النَّبيَّ ﷺ، فيظنُّ المسلمونَ أنَّهم ينتقصونَهم عندَ النَّبيِّ ﷺ[4].

سرُّ تخصيصِ علَّةِ الحَزَنِ بالذِّكرِ:

المؤمنُ يَتَصبَّرُ على أذى المنافقينَ

علَّةُ حَزَنِ المؤمنينَ المذكورةُ في قولِهِ ﷻ: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليسَتْ قيدًا في الحصرِ المذكورِ في قولِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ فإنَّ للشَّيطانَ مَآربَ أخرى، كإلقاءِ المُتناجينَ في الضَّلالةِ، والاستعانةِ بهم على إلقاءِ الفتنةِ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الأغراضِ الشَّيطانيَّةِ. وقد خُصَّتْ هذهِ العلَّةُ بالذِّكرِ؛ لأنَّ المقصودَ تسليةُ المؤمنينَ وحثُّهم على التَّصبُّرِ على أذى المنافقينَ[5].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 373.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 19.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 492.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 295.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 34.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿لِيَحۡزُنَ﴾:

تعدُّدُ القراءاتِ والمعنى واحدٌ

قرأ نافعٌ: ﴿لِيُحۡزِنَ﴾ بضمِّ الياءِ وكسرِ الزّاي، مِن (أحزَنَهُ يُحزِنُهُ) على وزنِ (أفعَلَ يُفعِلُ)، وهي لغةُ تميمٍ. وقرأ الباقونَ: ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ بفتحِ الياءِ وضمِّ الزّاي، مِن (حَزَنَهُ يَحزُنُه) على وزنِ (فعَلَ يَفعُل)، وهي لغةُ قريشٍ العاليةُ، وهما بمعنًى واحدٍ[1]. والفاعلُ على كِلتا القراءتينِ هو الشَّيطانُ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿لِيَحۡزُنَ﴾:

غايةُ الشَّيطانِ استمرارُ حزنِ المؤمنينَ وتجدُّدُه

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ غايةَ الشَّيطانِ هي استمرارُ حزنُ المؤمنينَ وتجدُّدُهُ، فهو يحبُّ أنْ يرى المؤمنينَ دائمًا في حالِ ضعفٍ وانكسارٍ ويأسٍ وقُنوطٍ.

سرُّ التَّعبيرِ بالموصولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

إيمانُ المؤمنينَ سببُ عداوةِ الشَّيطانِ لهم

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ - وهو وصفُ الإيمانِ - على علَّةِ الحكمِ، وهو طلبُ الحزنُ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ إيمانَ المؤمنينَ هو سببُ إرادةِ الشَّيطانِ حزنَهم المستمرَّ المتجدِّدَ؛ لأنَّ الإيمانَ يَغيظُهُ.

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿ءَامَنُواْ﴾:

المؤمنونَ ثابتونَ على إيمانِهم

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للتَّنبيهِ على تحقُّقِ الإيمانِ ووقوعِهِ، وهذا يزيدُ الشَّيطانَ غيظًا ورغبةً في جلبِ الحزنِ لهم.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا﴾:

الشَّيطانُ ليسَ في يدِهِ شيءٌ

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ حاليَّةٌ،

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 138.
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 449.

والجملةُ حالٌ لدفعِ توهُّم أنَّ في يدِ الشَّيطانِ شيئًا مِنَ الأمرِ[1]. ويحتملُ أنْ تكونَ معترضةً[2] لإفادةِ هذا الغرضِ أيضًا.

مرجعُ الضَّميرِ المستترِ في ﴿وَلَيۡسَ﴾:

يجوزُ أنْ يكونَ اسمُ (ليسَ) المستترُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ عائدًا على الشَّيطانِ، والمعنى: أنَّ الشَّيطانَ لا يضرُّ المؤمنينَ بالنَّجوى أكثرَ مِنْ أنَّهُ يَحزُنُهم.

الـحـزنُ أقـصَى ضـررِ الشَّيطانِ بالمؤمنينَ

ويجوزُ أنْ يكونَ عائدًا على حَدَثِ الحزنِ المفهومِ مِنْ ﴿لِيَحۡزُنَ﴾[3]؛ أي: ليسَ الحزنُ بضارِّهم شيئًا إلّا بإذنِ اللّهِ.

الـحـزنُ لا يضرُّ المؤمنَ إلّا بإذنِ اللهِ

ويجوزُ أنْ يكونَ عائدًا على النَّجوى بتأويلِها بالتَّناجي؛ أي: ليسَ التَّناجي بضارِّ المؤمنينَ شيئًا إلّا بإذنِ اللّهِ[4].

التَّناجي لا يضرُّ إلّا بإذنِ اللهِ

بلاغةُ الحصرِ بالنَّفْيِ والاستثناء:

القصرُ بالنَّفي والاستثناءِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يفيدُ أنَّ الضَّررَ لا يَلحَقُهم في حالٍ مِنَ الأحوالِ إلّا في حالِ أنْ يكونَ اللّهُ قدَّرَ شيئًا مِنَ المَضَرَّةِ[5]، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فلا داعيَ للخوفِ والجَزَعِ.

الضَّررُ لا يَلحَقُ العبدَ إلّا في حالِ تقديرِ اللهِ لهُ

معنى الباءِ في ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾:

الباءُ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا﴾؛ لتأكيدِ النَّفيِ المستفادِ مِنْ (ليسَ)[6]، وفي ذلكَ مزيدُ ترسيخٍ للطُّمأنينةِ في نفوسِ المؤمنينَ.

تـرسـيـخُ الطُّمأنينةِ في نفوسِ المؤمنينَ

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ في قولِهِ: ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾:

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ

لا ضررَ في حالٍ مِنَ الأحوالِ إلّا بإذنِ اللهِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 20، والبقاعي، نظم الدّرر: 19/ 373.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35.
(3) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 271.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 373 - 374.

﴿شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، ولم يُقَلْ مثلًا: (وليسَ يضرُّهم شيئًا)؛ للدَّلالةِ على انتفاءِ الضَّررِ عنهم في الحالِ؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ حقيقةٌ في زمنِ الحالِ، وذلكَ النَّفيُ يستلزمُ انتفاءَهُ في الماضي بالأولى، ويدلُّ بمعونةِ المَقامِ على انتفاءِ الضَّررِ في الاستقبالِ أيضًا، إلّا إذا شاءَ اللّهُ تعالى شيئًا مِنَ الضَّررِ.

يضافُ إلى ذلكَ أنَّ التَّعبيرَ باسمِ الفاعلِ يفيدُ عادةً تحقُّقَ الفعلِ لا محالةَ فضلًا عن تجدُّدِ حدوثِ الفعلِ، فنفيُهُ يفيدُ انتفاءَ هذا التَّحقُّقِ المؤكَّدِ، ونفيَ تجدُّدِ الفعلِ.

غرضُ تنكيرِ ﴿شَيۡـٔٗا﴾:

انتصَبَ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ على المفعولِ المطلقِ؛ أي: شيئًا مِنَ الضُّرِّ، ووقوعُهُ وهو نكرةٌ في سياقِ النَّفيِ يفيدُ عمومَ نفيِ كلِّ ضرٍّ مِنَ الشَّيطانِ[1]؛ أي: انتفَى كلُّ شيءٍ مِنْ ضرِّ الشَّيطانِ عن المؤمنينَ، فيشملُ ضرَّ النَّجوى وضرَّ غيرِها.

انتفاءُ كلِّ شيءٍ مِنْ ضرِّ الشَّيطانِ عن المؤمنينَ

ويجوزُ أنْ يكونَ عمومُ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مرادًا بهِ الخصوصُ؛ أي: ليسَ بضارِّهم شيئًا ممّا يوهِمُهُ تناجي المنافقينَ مِنْ هزيمةٍ أو قتلٍ إلّا بتقديرِ اللّهِ حصولَ هزيمةٍ أو قتلٍ، والمعنى: أنَّ التَّناجيَ يوهِمُ الَّذينَ آمنوا ما ليسَ واقعًا، فأخبرَهم اللّهُ بعدمِ الحزنِ بالنَّجوى؛ لأنَّ الأمورَ تجري على ما قدَّرَهُ اللّهُ في نفسِ الأمرِ حتَّى تأتيَهم الأخبارُ الصّادقةُ[2].

الأمورُ تجري على ما قدَّرَهُ الله

معنى الباءِ في ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾:

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ للسَّببيَّةِ؛ أي: إلّا بسببِ إذنِ اللّهِ بوقوعِ شيءٍ مِنَ المضرَّةِ[3]. ويجوزُ أن تكونَ للمُلابَسةِ[4]؛ أي: لا يقعُ الضُّرُّ إلّا مُلابسًا لإذنِ اللّه سبحانه.

كلُّ شيءٍ بتقديرِ الله

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35 - 36.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35.
(4) قباوة، المفصل في شرح الجلالين، ص: 1924.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالإذنِ:

الإذنُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ مُستعارٌ لقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ[1]، أو لمشيئتِهِ[2]، أو لِما جعلَهُ اللهُ في أصلِ الخِلْقةِ مِنْ تأثُّرِ النُّفوسِ بما يُسوِّلُ إليها[3].

الضَّرُّ والنَّفعُ بقضاءِ اللهِ وقدرِهِ ومشيئتِهِ

دلالةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾:

إضافةُ الإذنِ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ لتشريفِ الإذنِ وتعظيمِهِ.

إذنُ العظيمِ عظيمٌ

سرُّ إيثارِ اسمِ الجلالةِ:

أوثرَ اسمُ الجلالةِ على غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، ومنها الإحاطةُ بكلِّ شيءٍ علمًا وقدرةً[4]، فيكونُ ملائمًا لمقامِ بيانِ أنَّ الضَّررَ لا يصلُ إلى المؤمنينَ إلّا بإذنِ اللهِ؛ أي: إلّا بإذنِ المقتدرِ العليمِ الَّذي بيدِهِ الضُّرُّ والنَّفعُ.

المقتدرُ العظيمُ بيدِهِ كلُّ شيءٍ

دلالةُ الواوِ في جملةِ الفاصلة:

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ مستأنفةٌ، وهي تذييلٌ مُؤكِّدٌ لِما قبلَهُ.

التَّوكُّلُ تمامُ الاعتقادِ بأنَّ النَّفعَ والضَّرَّ بيدِ اللهِ

ويُحتمَلُ أنْ تكونَ لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها[5]، أو على محذوفٍ، وذلكَ أنَّهُ لمّا كانَ التَّقديرُ: (فقد عُلِمَ أنَّهُ لا يُخشَى أحدٌ غيرُ اللهِ؛ لأنَّهُ لا يَنْفُذُ إلّا ما أرادَهُ، فإيّاهُ فليَخْشَ المربوبونَ) عطفَ عليهِ قولَهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[6].

---

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 243.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 194.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 35.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 20.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.

معنى (على) في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

رجاءُ المؤمنِ قويٌّ باللهِ تعالى

(على) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ؛ بمعنى: أن يَجعلوا توكُّلَهم فوقَ كلِّ شيءٍ مِن المخلوقات، ويَصِلوه باللهِ ﷻ وحده. وفي التَّعبيرِ بها إيذانٌ بأنَّ على المؤمنِ أنْ يجعلَ رجاءَهُ باللهِ تعالى قويًّا، فهو يستندُ إليهِ استنادَ مَنْ لا يخافُ شيئًا.

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في موضعِ إضمارِهِ:

مَنْ تَوَكَّلَ على العظيمِ لم يَخِبْ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (وعليهِ فليتوكَّلِ المؤمنونَ) بالإضمارِ؛ لتقدُّمِ ذكرِ اسمِ الجلالةِ، ولكنْ أوثرَ الإظهارُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ للتَّنصيصِ على ذكرِ الاسمِ الدّالِّ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ الَّتي تُرغِّبُ في الاعتمادِ عليهِ، وتفويضِ الأمورِ إليهِ[1]، ولتأكيدِ استقلالِ الجملةِ التَّذييليَّةِ، بحيث تَجري مَجْرَى الأمثالِ.

غرضُ تقديمِ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾:

المؤمنُ يَتوكَّلُ على اللهِ وحدَه

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ للاهتمامِ بمدلولِ هذا المُتعلَّقِ[2]، ولإفادةِ التَّخصيصِ والحصرِ، وبيانِ أنَّ الواجبَ على المؤمنينَ التَّوكُّلُ على اللهِ تعالى وحدَهُ[3].

معنى الفاءِ في ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

كونُ الضُّرِّ مِنْ مشيئةِ اللهِ سببٌ للتَّوكُّلِ عليهِ

الفاءُ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ هي الفصيحةُ، وزيدَتْ للسَّببيَّةِ، وتوكيدِ تعليقِ الفعلِ بمعمولِهِ قبلَهُ؛ فتفيدُ تسبُّبَ الأمرِ بالتَّوكُّلِ عن كونِ الضُّرِّ مِنْ مشيئةِ اللهِ تعالى[4].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 36.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 505.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 505.

دلالةُ الأمرِ بالتَّوكُّلِ:

التَّوكُّلُ على اللهِ سببٌ للرِّبحِ في الدُّنيا والآخرةِ

الأمرُ بالتَّوكُّلِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ للوجوبِ أو للإرشادِ، فمَنْ أرادَ الرِّبحَ في الدُّنيا والآخرةِ فليُفوِّضْ أمرَهُ إلى اللهِ.

سرُّ إظهارِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ في موضعِ إضمارِهم:

التَّوكُّلُ على اللهِ مِنْ مقتضَياتِ الإيمانِ الكامِلِ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (فليتوكَّلوا) بالإضمارِ، ولكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ لتأكيدِ استقلالِ الجملةِ التَّذييليَّةِ الجاريةِ مَجْرَى الأمثالِ، وللتَّصريحِ بوصفِ الإيمانِ الَّذي هو الدّافعُ إلى التَّوكُّلِ، كأنَّهُ قيلَ: فليتوكَّلِ المؤمنونَ؛ لإيمانِهم باللهِ، ويقينِهم أنَّهُ النّافعُ الضّارُّ لا غيرُهُ[1]، ولرعايةِ تلاؤُمِ الفواصلِ.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

التَّوكُّلُ على اللهِ شأنُ جميعِ المؤمنين

تعريفُ المؤمنينَ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ للجنسِ المستغرقِ لجميعِ الأفرادِ، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى أنَّ التَّوكُّلَ على اللهِ ﷻ ينبغي أنْ يكونَ شأنَ جميعِ المؤمنينَ.

غرضُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

الرّاسخُ في الإيمانِ يتوكَّلُ على اللهِ في جميعِ أمورِهِ

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ المجموعِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ لدلالتِهِ على الرُّسوخِ في الاتِّصافِ بالإيمانِ؛ أي: وعلى اللهِ فليتوكَّلِ الرّاسخونَ في الإيمانِ في جميعِ أمورِهم[2]. وقد مرَّ أنَّ التَّعبيرَ بوصفِ (المؤمنين) يدلُّ على أنَّ الإيمانَ صارَ نعتًا للمؤمنين، فهُم معروفون بالصِّفةِ لا بالصِّلةِ؛ أي: أنَّ الإيمانَ في قلوبِهم صارَ مُلازِمًا لهم مُلازَمةَ النَّعتِ لمنعوتِه، فهو فيهم كالطّولِ في الطَّويلِ لا يكادُ يتخلَّى عنه، وبهذا يكونُ التَّعبيرُ ملائمًا لتمامِ التَّوكُّلِ على اللهِ سبحانه، والتَّسليمِ له تعالى في شؤونِهم كلِّها، وهو صنيعٌ لا يستطيعُهُ إلّا المؤمنُ الحقُّ.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 505.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحزنُ والكآبةُ:

النَّجْوى سببُ الهمِّ العظيمِ

الكآبةُ: أثرُ الحُزن البادي على الوجهِ، ولذلكَ يقالُ: عَلَتْهُ كآبةٌ، ولا يقالُ: علاهُ حُزنٌ؛ لأنَّ الحُزنَ لا يُرى، وإنَّما تُرى دلالتُهُ على الوجهِ، وهي الَّتي تُسمَّى كآبةً[1].

وقد عُبِّرَ بالحُزنِ هنا؛ لدلالتِهِ على الهمِّ الغليظِ والتَّوجُّعِ[2] النّاشِئَينِ عن النَّجوى.

(1) معجم الفروق اللغوية، ص: 443.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 374.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"